

الوافي في الوفيات

وما تركوا أوطانهم عن ملالةٍ ... ولكن حذاراً من شمات الأعاديا .
أيها السيد أمن العدل والإنصاف ومحاسن الشِّيم والأوصاف إكرام المهان وإذالة جواد
الرَّهَّان ؟ يشبع في ساجوره كلب الرِّبِّ بل ويسغب في خيشه أبو الشِّبِّيل : من الكامل .
للخطب والخطب البليغة أندب ... وإذا يحاس الحيس يدعى جندب .
من الطويل .
إذا حلَّ ذو نقصٍ محلَّة فاضلٍ ... وأصبح ربُّ الجاه غيروجيه .
فإنَّ حياة المرء غير شهيدَّة ... إليه وطعم الموت غير كريحه .
أقول لنفسي الدنيَّة : هبي طال نومك واستيقظي لا عزَّ قومك أرضيت بالعطاء المنزور ؟
وقنعت بمواعيد الزور ؟ يقظة فإنَّ الجدَّ قد هجع ونجعة فمن أجدب انتجع . أعجزت في
الإباء عن خلق الحرباء أدلى لساناً كالرشاء وتسندم أعلى الأشياء ناط هيمنته بالشمس مع
بعدها عن اللمس . أنف من ضيق الوجار ففرَّخ في الأشجار . وسام البوس فغيَّر الملبوس
وكره العيش المسخوط فاستبدل خوفاً بخوط فهو كالخطيب على الغصن الرِّطيب : من الطويل .
وإنَّ صريح الحزم والرأي لامرئٍ ... إذا بلغته الشِّمس أن يتحوَّلا .
وقد أصحب عبده هذه الأسطر شعراً يقصر فيه عن واجب الحمد وإن بنيت قافيته على المدِّ .
وما يعدُّ نفسه إلا كمهدي جلد السبنيِّ الأنمر إلى الديباج الأحمر . أين درُّ الحباب من
ثغور الأحباب ؟ وأين الشراب من السِّراب ؟ . والرِّبِّكيُّ من الواد ذي الموادِّ ؟ أتطلب
الصِّباحة من العتم والفصاحة من الغتم . غلط من رأى الآل في البلد القيِّ فشبَّهه
بهلهال الدِّبقيِّ . هيهات أين مناسج الرِّباط بسيفي تنيس ودمياط . لا أقول إلا كما
قال القائل : من الرمل .
من يساجلني يساجل ماجداً ... يملأ الدِّلو إلى عقد الكرب .
بل أضع نفسي في أقلِّ المواضع وأقول لمولاي قول الخاضع : من الطويل .
فأسبل عليها ستر معروفك الذي ... سترت به قدماً عليَّ عواري .
وها هي هذه : من الخفيف .
فيك برِّحت بالعذول إباءً ... وعصيت اللِّوَّام والذُّصحاء .
فانثنى العاذلون أخيب مني ... يوم أزمعتم الرحيل رجاء .
من مجيري من فاتر الطَّرف ألمى ... جمع النار خدُّه والماء .
فيه للَّيل والنهار صفاتٌ ... فلهذا سرِّ القلوب وساء .

لازمُ شِمةُ الخلافِ فإنْ لن ... تُ قسا أو دنوت منه تناءى .
يا غريب الصِّفاتِ حقٍّ لمن كا ... ن غريباً أن يرحم الغرباء .
حرباً من صدوده وتجنُّي ... ه وإشماته بي الأعداء .
وإذا ما كتمت ما بين الوج ... د أذاعته مقلتاي بكاء .
كعطايا سبا بن أحمد يخفي ... ها فتزداد شهرةً ونماء .
أريحى بهزُّه المَدحَ للجو ... د وإن لم تمدحه جاد ابتداء .
المعِيَّ يكاد ينبئك عمَّـا ... كان في الغيب فطنةً وذكاء .
وإذا أخلف السماء بأرضٍ ... أخلفت راحتاه ذاك السماء .
بندىً يخل الغيوث انهمالاً ... وشذىً ينهل الرماح الطِّماء .
ما أبالي إذ أحسن الدهر فيه ... أحسن الدهر بالورى أم أساء .
أيها الطالب الغنى زره تظفر ... بعطاء يخجِّل الأنواء .
تلق منه المهدب الماجد الذِّد ... ب الكريم السِّميدع الأزلاء .
إن سطا أرهب الضِّراغم في الآ ... جام أو جاد بخل الكرماء .
راحةً في الذِّدى تسيل نضاراً ... وحسامٌ في الرِّوع يهمي دماء .
شيمٌ من أبيه أحمد ما ين ... فكُّ عنها تقيُّلاً واقْتفاء .
يا با حميرٍ دعوتك للده ... ر فكنت امرءاً تجيب الدُّعاء .
قد تعاظم في المجد شأوك قومٌ ... عجزوا واحتملته العناء .
فأبى البخل أن يكونوا أماماً ... وأبى الجود أن يكون وراء .
شرفاً شامخاً ومجداً منيفاً ... عد ملياً وعزةً فَعساء